والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر في دار المحنة لا يخلو من محنة
يصبر عليها لا محالة ولا يجزع وان الشكر تعظيم المنعم على ما صنع من
عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة جهاد حتى نال الشكر في
نعم بالحقيقة على المعنى المتقدم بانه شكر بالحقيقة اذا صبر لانه حبس
نفسه عن الجزع تعظيما وهذا هو الشكر بعينه اذ هو تعظيم يمنع
نفسه عن العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فيصبر عن المعصية
وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة فصار صابرا على الحقيقة
والصابر عظم الله حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه وحمله على
الصبر فهو يشكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة لان حبس النفس
عن الكفران مع قصد النعمة له شكر له يصبر عليها الشاكر وتوجيه الصبر
والمعصية نعمة يشكر عليها الصابر بل احدهما لا ينفك عن الاخر لان الصبر
الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا بانهم
هذا الوجه فقلنا ان احدهما لا ينفك عن الاخر واعرف ذلك الجهلة وبالله
التوفيق **فصل** فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه
العقبة العسيرة الشاقة الكثيرة الخير والعزيزة العظيمة
الغور وتامل اصليها حسن ... ان النعمة انما تعظم من يعرف قدرها
وانما يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلنا قوله سبحانه في الحكاية عن
الكفار والرد عليهم اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله اعلم
بالشاكرين ولكن الجهال ان النعمة العظيمة والمنة الكبيرة انما
تعطى من يكون اكثر مالا واتم جاها حسبا ونسبا فقالوا ما بال
هؤلاء الفقراء من العبيد والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمة من بينهم
دوننا فقالوا على سبيل الاستنكار ومعنى الاستهزاء اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فاجابهم الله تعالى بهذه الكلمة الزاهرة فقال
اليس الله باعلم بالشاكرين فتدبر هذا الكلام ان السبيل الذي انما يعطى
نعمته من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها من اقبل عليها بنفسه وقلبه
[illegible] بما يعمل من اعباء الشكر في تحصيلها ثم
باختيارها على غيرها ولا يبيعها [illegible] في علمنا السابق ان هؤلاء
لا يزال فرحا بها بالعبادات بحيث تشكي [illegible] بهذه
[illegible] يعرفون قدر هذه النعمة ويقومون بشكرها في الزيادة
النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم ولا ثروتكم ولا [illegible] كلها وهكذا
[illegible] من الاحساب والاحساب انما تحسبون النعمة [illegible] انما تعظمون ذلك
والحسب والنسب وعلو الامر والجاه ومعرفته
وتتفاخرون به اما ترون انكم لا تعدون تقبلون هذا الدين والعلم

والحق

والحق الا تحسنتم على ما [illegible] ذلك لاحتقارهم ذلك وقلة مبالاتهم
به وان هؤلاء الضعفاء يقبلون بانفسهم على ذلك ويبذلون مجهودهم فيه
ولا يبالون بما فاتهم ولا بمن عاداهم مع ذلك لتعلموا انهم هم الذين
عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ في قلوبهم تعظيمها وهان عليهم في
كل شيء دونها وكانت لهم اعتبارا لكل شيء ويستغرقون جميع العمر
في شكرها فلذلك استاهلوا هذه المنة التي بينتها والنعمة في سابق علمنا
وخصصناهم بها دونكم فهذه فهذا ما اقول وكذلك كل فريق من
الناس خصهم الله تعالى بنعمة من نعم الدين علم او عمل فانك تجدهم
بالحقيقة اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما لها واحرصهم في
تحصيله واعظمهم في اكرامها وافرحهم بشكرها والذين حرموا
ذلك بالغفلة امتعاضهم وتعظيمهم لغيرها [illegible]
كان تعظيم العلم والعبادة في قلوب السوقة مثل ما هو في قلوب
العلماء والمتعبدين لما التزموا [illegible] عليه ولهان عليهم تركه
الا ترى ان فقيها اذا ظفر بتعليق مسئلة كانت ملتبسة عليه كيف
يرتاح قلبه ويعظم سروره ويجعل موقعه من قلبه حتى يساوي عنده
الف دينار لما كان يعول ذلك وربما يتهمه امر مسئلة في باب الدين
فيبقى فيها سنة بل عشرا بل عشرين واكثر لا يستكثر ذلك
ولا يمل حتى ربما رزقه الله تعالى فهم ذلك فيعد اعظم منه
واكثر نعمة ويرى بذلك نفسه اغنى كل غني واشرف كل شريف
حتى ربما يتمنى مثل هذه المسئلة السوقي او متعلم كسلان يرى من نفسه
انه مثله في الرغبة في العلم والمحبة له فلا يسمع اليه حقه وربما ثقل عليه
الكلام [illegible] وان تبين ذلك له لا يعده كثير منه وكذلك المنيب الى
الله تعالى لم يجتهد ويدابه بالرياضة وصيانة النفس عن الشهوات
واللذات والحياة الاركان في الحركات والسكنات عسى ان يفتح الله له شيء
في ادب وطهارة وكل يتضرع الى الله تعالى عسى ان يرزقه ساعة مناجاة
بصفوة وحلاوة فلان ظفر بذلك في شهر مرة او في السنة مرة بل في العمر
كله مرة عد ذلك اكثر منه واعظم نعمة وكم يشكر الله تعالى وما
يكترث بما فاته من [illegible] وكابده من الليالي وهجر من اللذات فهاهنا ترى
الذي يزعم انه راغب في العبادة يجب ان يحصل منها شيئا [illegible]
بتعجيل مثل هذه العبادة الصافية التي فقد لذة من [illegible]
كله لا تعنيهم او ربح نوم ساعة عن اعينهم فلا تسمع انفسهم بذلك
ولا تطيب به قلوبهم فلا اتى لهم في النادر حصول عبادة في صفوة

Copyright © King Saud University